التجديد المعرفي في خدمة الأمن القومي العربي: مدخل استراتيجي معاصر

(مداخلة في احتفالية الذكرى 6 لتأسيس المعهد)

الدكتورة أماني غازي جرار- عضو في المعهد العالمي للتجديد العربي

المقدمة

في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم، تبرز الحاجة الملحة لإعادة النظر في مفهوم الأمن القومي العربي، الذي لم يعد يقتصر على البعد العسكري التقليدي، بل أصبح يشمل أبعادًا معرفية واستراتيجية متعددة. فالتحديات المعاصرة، مثل الحروب السيبرانية، والتطرف الفكري، والتغيرات المناخية، تتطلب استجابات أمنية متطورة تعتمد على المعرفة والابتكار.

إن التجديد المعرفي في هذا السياق لا يعني فقط تحديث الأدوات والوسائل، بل يتطلب إعادة صياغة المفاهيم والاستراتيجيات الأمنية بما يتناسب مع الواقع الجديد. فالمعرفة أصبحت عنصرًا حاسمًا في بناء القدرات الدفاعية والهجومية، وفي تعزيز مرونة المجتمعات في مواجهة الأزمات. ومن هذا المنطلق، يسعى هذا البحث إلى استكشاف كيفية توظيف التجديد المعرفي في خدمة الأمن القومي العربي، من خلال تحليل الأبعاد المختلفة لهذا المفهوم، وتقييم التحديات التي تواجهه، واقتراح استراتيجيات معاصرة تعزز من قدرته على التصدي للمخاطر المتجددة. ويهدف البحث إلى تقديم إطار نظري وعملي يساهم في تعزيز الأمن القومي العربي في ظل المتغيرات الراهنة.

المحور الأول: مفهوم الأمن القومي العربي في ظل التحولات المعرفية

شهد مفهوم الأمن القومي العربي تطورًا ملحوظًا في ظل التحولات المعرفية المتسارعة، حيث تجاوز الإطار التقليدي الذي كان يركز على التهديدات العسكرية المباشرة ليشمل أبعادًا متعددة تتعلق بالسياسة، والاقتصاد، والمجتمع، والثقافة، والتكنولوجيا.

تاريخيًا، ارتبط مفهوم الأمن القومي العربي بالتحديات العسكرية، خاصة في ظل الصراع العربي الإسرائيلي. فقد كان يُنظر إلى الأمن القومي من منظور جماعي، حيث تُعتبر التهديدات التي تواجه أي دولة عربية تهديدًا للأمة بأكملها. وقد تجلى ذلك في تأسيس جامعة الدول العربية عام 1945، وتوقيع "معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي" عام 1950، التي هدفت إلى تعزيز التعاون الأمني بين الدول العربية (قبلان، 2023).

مع تطور العلوم والتكنولوجيا، ظهرت تهديدات جديدة تتجاوز الحدود التقليدية، مثل الهجمات السيبرانية، والحروب الإعلامية، والتحديات البيئية، والأزمات الاقتصادية. وقد أدى ذلك إلى توسيع مفهوم الأمن القومي ليشمل هذه الأبعاد الجديدة. فلم يعد الأمن القومي يقتصر على حماية الحدود، بل أصبح يشمل حماية البنية التحتية الرقمية، وضمان الأمن الغذائي والمائي، والحفاظ على الاستقرار الاجتماعي والثقافي (زاوي، 2020).

يواجه الأمن القومي العربي تحديات متعددة، من بينها التهديدات السيبرانية، حيث تزايدت الهجمات الإلكترونية التي تستهدف البنية التحتية الحيوية، مما يتطلب تعزيز القدرات الدفاعية في مجال الأمن السيبراني. كما أن الحروب الإعلامية وانتشار المعلومات المضللة والشائعات عبر وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي تؤثر على الاستقرار الداخلي وتزيد من حدة الانقسامات المجتمعية (توفيق، 2024).

بالإضافة إلى ذلك، تعاني الدول العربية من تحديات اقتصادية، مثل الاعتماد المفرط على الموارد الطبيعية، وعدم تنويع الاقتصاد، مما يجعلها عرضة للتقلبات الاقتصادية العالمية. كما أن التهديدات البيئية، مثل تغير المناخ، وندرة الموارد المائية، والتصحر، تؤثر على الأمن الغذائي والاستقرار الاجتماعي (عاشور، 2017).

ولمواجهة هذه التحديات، من الضروري تبني استراتيجية شاملة للأمن القومي العربي تعتمد على التجديد المعرفي. يشمل ذلك تعزيز البحث العلمي، ودعم مراكز الأبحاث والدراسات الاستراتيجية لتوفير رؤى وتحليلات تساعد في اتخاذ قرارات مستنيرة. كما يجب تطوير التعليم، وإدماج مفاهيم الأمن القومي في المناهج التعليمية، وتعزيز الوعي لدى الأجيال القادمة بأهمية الأمن الشامل (زاوي، 2020).

كذلك، يجب تعزيز التعاون الإقليمي بين الدول العربية في مجالات الأمن السيبراني، ومكافحة الإرهاب، والتصدي للتحديات البيئية والاقتصادية. كما ينبغي تبني التكنولوجيا الحديثة، والاستفادة من التقنيات الحديثة في مجالات الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات لتعزيز القدرات الأمنية (قبلان، 2023).

في الختام، يتطلب الأمن القومي العربي في العصر المعرفي تبني نهج شامل ومتكامل، يركز على تعزيز القدرات المعرفية والتكنولوجية، وتطوير السياسات والاستراتيجيات التي تتناسب مع التحديات المعاصرة. فالأمن القومي لم يعد مسألة عسكرية فقط، بل أصبح قضية معرفية تتطلب استثمارًا في الإنسان والعلم والتكنولوجيا.

المحور الثاني: دور التجديد المعرفي في بناء استراتيجيات أمنية فعّالة

يمثل التجديد المعرفي مرتكزًا رئيسيًا في صياغة استراتيجيات أمن قومي أكثر فاعلية واستدامة في العالم العربي، خاصة في ظل التهديدات المتسارعة والمعقدة التي تتجاوز الأطر العسكرية التقليدية، إلى ساحات معرفية وثقافية وتكنولوجية. ويُعد تبني مفهوم أوسع للأمن القومي، يتكامل فيه البعد المعرفي مع الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، ضرورة ملحة لصياغة استراتيجيات استباقية ومرنة. ومن هذا المنطلق، فإن بناء القدرات المعرفية—سواء من خلال البحث العلمي أو التعليم أو الإعلام أو إنتاج البيانات وتحليلها—يشكل البنية التحتية لأي أمن وطني معاصر. في السياق العربي، يشير Brown وآخرون (2022) إلى أن أحد المعضلات البنيوية في الأنظمة الأمنية العربية يكمن في غياب المعرفة كعنصر محوري في رسم السياسات، حيث تتبنى غالبية الدول نماذج أمنية قائمة على الردود الآنية لا الاستراتيجيات الاستشرافية، وهو ما يعكس ضعفًا في توظيف البحث العلمي والخبرات الأكاديمية في دعم صناعة القرار الأمني. هذا القصور يتجلى كذلك في محدودية الاستثمار في مؤسسات الفكر والرصد والتحليل التي تُعنى بمتابعة التحولات الجيوسياسية أو التطورات الرقمية المتسارعة. ووفقًا لدراسة حديثة لمنصة "المعرفة-AI" (Manhal, 2021)، فإن أغلب الجامعات العربية لا تربط مخرجاتها البحثية بقضايا الأمن القومي، ما يفتح فجوة بين البيئة الأكاديمية ومؤسسات صنع القرار. بالمقابل، تسلط الدراسة ذاتها الضوء على تجارب ناشئة بدأت تعي أهمية دمج البعد المعرفي، مثل مبادرات الأمن السيبراني في بعض دول الخليج، وتبني أدوات تحليل البيانات الضخمة في رصد المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بالاستقرار. غير أن تلك المبادرات ما زالت محصورة في نطاق جغرافي ضيق وتفتقر إلى إطار عربي تكاملي. وهنا تكمن الحاجة لتبني مقاربة معرفية شاملة، تبدأ بتأهيل الكوادر القادرة على استشراف المخاطر، وليس فقط التعامل معها عند وقوعها. كما أن بناء استراتيجية أمنية قائمة على التجديد المعرفي يقتضي إدماج المفكرين والعلماء والخبراء في غرف العمليات الأمنية، بحيث تصبح المعرفة أداة مركزية لصنع القرار، لا مجرد هامش استشاري. الإعلام بدوره يمثل محورًا مهمًا في منظومة التجديد المعرفي، حيث يمكنه أن يتحول من ناقل للأحداث إلى مُنتج للوعي الأمني، شريطة أن يخضع لإطار تحريري ومعرفي مسؤول، وهو ما أكدته تحليلات قام بها معهد السياسة العامة بجامعة كولومبيا (Columbia SIPA, 2023)، والتي أظهرت كيف يمكن للإعلام الذكي أن يلعب دورًا حاسمًا في مكافحة التطرف والتضليل، ودعم الأمن المجتمعي عبر بناء سرديات إيجابية قائمة على الحقائق. ويُعتبر الجانب الرقمي أحد أكثر المساحات حساسية في الأمن القومي المعاصر، إذ لم تعد الحروب تُخاض فقط في الميادين، بل أيضًا في الفضاء الإلكتروني، ما يستلزم تطوير استراتيجيات قائمة على الذكاء الاصطناعي والتحليلات التنبؤية. وقد أشارت دراسة حديثة

لـ(Infotech) عام (2023) إلى أن الدول التي استثمرت في تطوير استراتيجيات معلوماتية متقدمة، قادرة على إدارة المخاطر بشكل أكثر كفاءة، بفضل قدرتها على تحويل البيانات إلى قرارات استراتيجية. في ضوء ما سبق، يمكن القول إن غياب التجديد المعرفي عن البنية الأمنية العربية لا يمثل فقط تحديًا تنظيميًا، بل تهديدًا وجوديًا، لأن الأنماط التقليدية في الإدارة الأمنية لم تعد قادرة على مواكبة طبيعة المخاطر الحديثة التي تتشابك فيها السياسة والاقتصاد والثقافة والتكنولوجيا. من هنا، فإن الطريق نحو أمن قومي عربي فعّال يمر حتمًا عبر بوابة المعرفة، ويستلزم إعادة هيكلة العقل الأمني ليصبح عقلًا تحليليًا تشاركيًا، لا سلطويًا منفصلًا عن المجتمع والمعرفة والإنسان.

المحور الثالث: نحو استراتيجية أمن قومي معرفي

يمثل الانتقال من نموذج الأمن القومي التقليدي إلى نموذج قائم على التجديد المعرفي تحولًا جوهريًا في كيفية فهم وإدارة التهديدات التي تواجه الدول العربية في القرن الحادي والعشرين. فالعالم اليوم لم يعد يحكمه منطق الحروب الكلاسيكية فحسب، بل باتت القوة الناعمة، والمعرفة، والتحكم بالمعلومة، والقدرة على التنبؤ بالمخاطر، أدوات مركزية في تعزيز الاستقرار وحماية السيادة الوطنية. من هذا المنطلق، تبرز الحاجة إلى صياغة استراتيجية عربية للأمن القومي تستند إلى التجديد المعرفي كأساس لبناء قدرة استباقية، مرنة، ومتكاملة لمواجهة التحديات المعاصرة. وعليه؛ يحكم بناء هذه الاستراتيجية ما يلي:

أولًا، إن بناء استراتيجية أمن قومي معرفي يتطلب تطوير بنية تحتية معرفية متكاملة تشمل التعليم، والبحث العلمي، والتدريب، وإنتاج البيانات. ولا يمكن تحقيق ذلك دون إصلاحات جذرية في أنظمة التعليم العربية، التي ما زالت تعاني من الجمود والتلقين، ولا تولي أهمية كافية للمهارات الاستراتيجية مثل التحليل، والنقد، والتفكير المستقبلي (جرار، 2023). فغالبية النظم التعليمية في الدول العربية لا تُعد الطلاب للتفاعل مع تعقيدات الأمن القومي، ولا تربط بين المعرفة الأمنية ومفاهيم مثل الهوية الرقمية، أو الأمن البيئي، أو حتى الأمن الغذائي. لذا فإن أي استراتيجية معرفية للأمن القومي يجب أن تبدأ من المدرسة والجامعة، لا من مؤسسات الجيش أو الاستخبارات فقط.

ثانيًا، لا يمكن للتجديد المعرفي أن يؤدي دوره الفعال في الاستراتيجية الأمنية من دون مشاركة مؤسسات تفكير (Think Tanks) ومراكز أبحاث قوية وفاعلة. ففي التجارب الدولية، كما في كندا وسنغافورة، تلعب هذه المؤسسات دورًا محوريًا في تقديم رؤى وتحليلات معمقة لصانعي القرار، وتُعد بمنزلة الرادار الاستراتيجي للدولة (Barker & Kitchin, 2021). وفي المقابل، تعاني البيئة العربية

من ضعف هذه المؤسسات، إما بسبب ضعف التمويل، أو التبعية للمؤسسات الرسمية، أو غياب الحريات الأكاديمية. وهذا ما يعيق قدرتها على إنتاج معرفة مستقلة وموضوعية، تساهم في صياغة استراتيجيات أمنية حقيقية. وهنا لا بد من منح هذه المؤسسات استقلالية حقيقية، ودعمها تشريعيًا وماليًا، لتكون ذراعًا معرفيًا للدولة وليس مجرد واجهة إعلامية.

ثالثًا، إن استراتيجية الأمن المعرفي يجب أن تكون بطبيعتها تشاركية وتكاملية. فالأمن لم يعد مسؤولية الدولة وحدها، بل هو مسؤولية مجتمعية تشارك فيها الجامعات، والإعلام، والشركات التكنولوجية، وحتى المواطن. ومن المهم في هذا السياق وضع أطر للتنسيق بين مختلف الفاعلين في الحقل الأمني المعرفي، وتحديد أدوار واضحة لكل طرف، وتبادل المعلومات والبيانات بشكل منظم. كما يجب تضمين البعد السيبراني ضمن الاستراتيجية، خاصة مع ازدياد التهديدات الرقمية التي تستهدف البنى التحتية للدول والمؤسسات الحيوية، وهو ما أكدته تقارير أمنية حديثة لمنظمة الأمن السيبراني الأوروبي التي ربطت بين ضعف البنية الرقمية وضعف قدرة الدولة على إدارة أزماتها السياسية والاجتماعية (ENISA, 2022).

رابعًا، لا بد أن تكون هذه الاستراتيجية مدفوعة برؤية مستقبلية تستند إلى أدوات الاستشراف والتحليل التنبؤي. فالدول التي تنجح اليوم في حماية أمنها القومي ليست تلك التي تمتلك أكبر جيوش أو أسلحة، بل تلك التي تنجح في التنبؤ بالتحديات قبل وقوعها، وتصميم السيناريوهات البديلة، ومن ثم تحليل الاتجاهات الكبرى، التي تتمثل في ثورة الذكاء الاصطناعي، وكذلك التغيرات والتحولات المناخية، والهجرة، والتغيرات الديمغرافية (Gunning & Jobson, 2022). ولتحقيق ذلك، ينبغي اعتماد نماذج تخطيط معرفية، نماذج ذكية تعتمد على قواعد البيانات الضخمة، ومحاكاة الأزمات، وتوظيف التكنولوجيا في قراءة كافة المؤشرات التي تحكم الحوكمة الرشيدة لإدارة الأزمات، قبل أن تتحول إلى أزمات مدمرة. ومن هنا يمكن التأكيد على أن استراتيجية الأمن القومي العربي يجب أن تُعاد صياغتها لتكون استراتيجية معرفية، قائمة على العقل الجماعي لا القرار الفردي، وعلى التراكم المعرفي لا الانفعال الآني، وعلى مشاركة النخب العلمية لا الاقتصار على القيادات الأمنية. إن بناء هذه الاستراتيجية يتطلب تغييرًا ثقافيًا عميقًا في كيفية فهم الأمن نفسه: ليس بوصفه حالة طوارئ مؤقتة، بل باعتباره حالة دائمة من الجهوزية المعرفية والبشرية والمؤسسية. كما أنه لا يمكن اختزال الأمن القومي في مفهوم الحماية، بل يجب توسيعه ليشمل التمكين، والتنمية، والتأثير الإيجابي في المحيط الجيوسياسي. وبهذا المعنى، فإن التجديد المعرفي لا ينبغي أن يكون مجرد شعار، بل أداة ملموسة تعيد إنتاج دور الدولة، وتعيد وصلها بمجتمعها وعصرها.

الخاتمة

وفي المحصلة، يتضح أن التجديد المعرفي لم يعد خيارًا ترفيًا في ظل التحولات العالمية المتسارعة، بل بات ضرورة استراتيجية لضمان أمن قومي عربي متماسك ومستدام. فالمخاطر التي تواجه الدول العربية اليوم لم تعد تقليدية أو محدودة النطاق، بل أصبحت معقدة، متشابكة، ومتغيرة، وتتطلب أدوات تحليل واستجابة جديدة قائمة على المعرفة، والاستشراف، والتكنولوجيا. إن تبني منظور معرفي للأمن القومي يعزز من قدرة الدول على التنبؤ بالتحديات، والاستعداد لها، وتفكيك مسبباتها قبل أن تتحول إلى أزمات تهدد الاستقرار الداخلي أو الإقليمي. حيث أن بناء استراتيجية أمنية فاعلة يقوم على ربط منظومة التعليم والبحث العلمي والمؤسسات الفكرية بصناعة القرار، وعلى إدماج كافة الفاعلين من الدولة والمجتمع في منظومة تشاركية شاملة. كما أن الإعلام الواعي، والتحول الرقمي، والاستثمار في رأس المال البشري، تمثل جميعها ركائز لا غنى عنها لأي منظومة أمنية معاصرة. ومن هنا، فإن تطوير نموذج أمني عربي جديد قائم على المعرفة يمثل فرصة حقيقية لإعادة بناء الأمن القومي على أسس علمية وإنسانية تحقق التوازن بين الحماية والتنمية، وبين السيادة والانفتاح، بما يضمن استقرارًا طويل الأمد للأمة العربية في محيطها المتغير.

المصادر والمراجع

توفيق، غ. م. (2024). الإعلام الأمني وحروب الأجيال: رؤية استراتيجية لدعم الأمن القومي العربي. مجلة الشؤون العربية.

جرار، أ. غ. (2023). التجديد المعرفي في خدمة الأمن القومي العربي: مدخل استراتيجي معاصر. عمّان: دار الأكاديميون للنشر والتوزيع.

زاوي، ز. (2020). واقع الأمن القومي العربي في ظل التحولات الدولية. المجلة الجزائرية للعلوم السياسية(asjp.cerist.dz).

عاشور، ق. (2017). الأمن القومي العربي: التحديات وسبل المواجهة. حولية كلية الآداب – جامعة بني سويف(jbsu.journals.ekb.eg).

قبلان، م. (2023). الأمن القومي العربي وتحديات الأمن الإقليمي. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

معهد البحوث السياسية والاستراتيجية العربي .(2022) .*بناء منظومة أمن قومي عربي معرفية: رؤية استشرافية* .بيروت: مركز دراسات المستقبل العربي.

المراجع الأجنبية

Al-Manhal. (2021). The role of university education in preserving the foundations of national security. Retrieved from https://platform.almanhal.com/Files/2/138060.

Barker, K., & Kitchin, R. (2021). *Big Data, Surveillance and Crisis Management: Lessons from International Security*. Oxford University Press.

Brown, N. J., & Others. (2022). *Innovation and New Directions: Searching for Novel Paths in Arab Education Reform*. Carnegie Endowment for International Peace. https://carnegieendowment.org

Columbia University; School of International and Public Affairs (SIPA). (2023). *Media, Narrative, and National Security: Strategic Communication in the Digital Age*.

ENISA. (2022). *Threat Landscape for the Digital Ecosystem*. European Union Agency for Cybersecurity. Retrieved from https://www.enisa.europa.eu

Infotech Research Group. (2023). *Build an Information Security Strategy That Supports National Resilience*. https://www.infotech.com/research/ss/build-an-information-security-strategy.